ثانياً:استعراض لنشاط المسلمين الحربي في جنوب فرنسا في عصر الولاة :-

تفصل جبال البرت ، وهي التي تعرف خطأ باسم البرانس ، اسبانيا عن الجنوب فرنسا . وكانت هذه المنطقة الجنوبية من فرنسا تسمى بغالة وهي تتألف من عدة ولايات ، كولايات سبتمانية ،وتعني المقاطعة ذات المدن السبع منها اربونة وهي عاصمة هذه الولاية ، وقرقشونة وتقع دوقية اكيتانية الى الشمال الغربي من ولاية سبتمانية وعاصمتها برديل او بوردو الواقعة على مصب نهر الجارون . ومن مقاطعات غالة الاخرى اقليم بروفانس ، الذي يقع الى الشمال الشرقي من سبتمانية ومن مقاطعات غالة اقليم بروفانس الذي يقع الى الشمال الشرقي من ولاية سبتمانية وعاصمته مدينة ابنيون الواقعة على وادي رودنة او الرون . والى الغرب من هذا النهر يقع اقليم برغندية وعاصمته مدينة لودون او ليون وكانت المنطقة الواقعة الى الشمال من نهر اللوار خاضعة للدولة الميروفنجية .

وتشير بعض الروايات العربية الى ان موسى بن نصير وطارق بن زياد كانا اول من عبر جبال البرت ففتحا اراضي ومدن في جنوب فرنسا ، منها اربونة وابنيون وليون حتى انتهيا الى وادي رودنة .ولكن ماتذهب اليه هذه الروايات بعيد الاحتمال ولايتوفر لدينا مايؤيد وصول هذين القائدين الى هذه المناطق ، لاسيما ونحن نعلم ان موسى اضطر الى عدم استكمال فتوحه في شبه الجزيرة الايبيرية ذاتها بسبب استدعاء الخليفة له .وهناك رواية مسيحية اخرى تشير الى ان الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي . الذي اعقب الوالي ايوب بن حبيب اللخمي قد توغل عبر جبال البرت وافتتح اربونة عاصمة غالة ويذكر المؤرخ الاسباني رامون عبدال ان الحر قد فتح قطلونية وبرشلونة في الشمال الشرقي من اسبانيا ووصل الى جبال البرت ولكن لاتوجد اية اشارات في بقية المصادر المسيحية ، او المصادر العربية القديمة تؤكد هذه الفتوحات ، ولهذا فمن الصعب التعويل على ماجاء في هذه الروايات .

واصل الولاة المسلمون في الاندلس حركة الجها د فيما وراء جبال البرت او (البرانس) وكان اولهم السمح بن مالك الخولاني الذي باشر نشاطاً عظيماً في هذا الميدان حتى استشهد في معركة طولوشة سنة (١٠٢هـ/٧٢١م) في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي عام (١٠٦ هـ / ٧٢٥م)وجه حملة استولى فيها علىقرقشونة وغيرها من المدن المهمة وتوغل في الارض الفرنسية حتى اصبح على بعد (٣٠ كم) من جنوب باريس عندما تصدى له اسقف مدينة سانس ليوقف تقدمه وعاد عنبسة مع جيشه بعـــــد ان وصله انباء بحدوث تمرد في البلاد ولكنه هوجم في طريق عودته و استشهد في المعركة.

في ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (الثانية التي كانت عام (١١٢هـ /٧٣٠م) تجددت حركة الجهاد خلف البرتات اذ جهز حملة في عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م) توجه من بنبلونة الى جبال البرتات ثم الى بوردو فتصدى لهم دوق اكيتانية ولكن عبد الرحمن اوقع به الهزيمة وواصل تقدمه نحو مدينة تور واستشعر حاجب الملوك الميروفنجيين في فرنسا (شال مارتل)الخطر فجمع جيشاً كبيراً والتقى بعبدالرحمن في موقع الى الشمال الشرقي من مدينة بواتيه ودارت بين الجيشين معركة كبيرة هُزم فيها المسلمين وقتل قائدهم عبد الرحمن الغافقي ولكثرة قتلى المسلمين سميت المعركة (بلاط الشهداء) .وكان من اهم الاسباب التي ادت الى هزيمة المسلمين في تلك المعركة :-

١- توغل الجيش العربي لمسافات شاسعة في ارض الاعداء وبعده عن قلب الدولة الاسلامية ولم يكن بمقدور الجيش ان يحصل على الامدادات من مركز الخلافة او حتى في قرطبة لبعد

المسافة ولتفرق العرب في نواحيها المختلفة نتيجة لاستقرارهم وحتى قواعد المسلمين خلف جبال البرتات كأربونة لم تكن في وضع يسمح لها بأرسال الامدادات لحاجتها اليها في الدفاع عن نفسها .

٢- تكتل الامارات في غالة واستماتتها في الدفاع هذا فضلاًعن معرفة الفرنجة للمواقع وتعودهم على القتال في جوها المطير الشاتي وارضها الموحلة وتلالها الوعرة وسهولة وحصولهم على

الامدادات من كل نوع وهذه امور حرم منها المسلمين بعد توغلهم في فرنسا .

اما ماينقله بعض المؤرخين من ان سبب هزيمة المسلمين هو الخلاف في جيش عبد الرحمن وبين العرب والبربر فليس له اساس من الصحة ، ذلك ان جيش عبد الرحمن كان يضم اغلبية من البربـــر المستقرين في الاشتوريش وجبال البرت واعداد قليلة من العرب اليمانية المستقريـن في منطقة الثغر الاعلى وسرقسطة وكان جميع هؤلاء مع اسرهم والحقيقة ان مهاجمة الفرنجـــــة لمؤخرة الجيش الاسلامي ومقتل قائد المعركة عبد الرحمن الغافقي كانت الاسباب المباشرة في ضعف موقف المسلمين فكانت هذه الاسباب عاملاً رئيسياً ومباشراً في هزيمتهم .

حركة الفتوح خلف جبال البرت بعد معركة بلاط الشهداء :

قام الوالي الذي عين بعد عبد الرحمن وهو عبد الملك بن قطن الفهري عام (١١٤-١١٦هـ) في ولايته الاولى بالتوجه الى شمال اسبانيا وهناك قضى على تمرد الولايات التابعة للمسلمين التي استغلت فرصة اندحار المسلمين في جنوب فرنسا فتمردوا على حكومة قرطبة ثم توجه الى جنوب فرنسا وقام بتحصين المدن التي كانت بأيدي المسلمين . ولكن حركة الفتوح ازدادت بشكل ملحوظ في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ) الذي اعقب عبد الملك بن قطن فقد كان عقبةاحد كبارالقادة الذين قادوا الحملات في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا ففي اسبانيا كما اسلفنا اخضع معظم المناطق القلقة في الشمال والشمال الغربي حيث هاجم بلاي واتباعه ثم استأنف حركة الفتوح خلف البرت ففي ولايته قام العرب المستقرين بتحصين كل المواقع التي تدعى الُربط حتى ضفاف نهر الرون ومع هذا فأن زمام المبادرة لم يكن لعقبة بل لعامله على اربونة يوسف بن عبد الرحمن الفهري – الذي اصبح فيما بعد والياً للاندلس – فقد تحالف مع بعض الامراء في سبتمانية ، وبروفانس . وقد فضل هؤلاء الذين كانوا يخشون كلا من شارل مارتل ، ودوق اكيتانية مساعدة المسلمين للسيطرة على ولاياتهم ووضعها تحت الحماية الاسلامية .

ابتدأ عقبة نشاطه في الفتوح بأن اتخذ مدينة سرقسطة في الشمال الشرقيقاعدة عسكرية له وتوغل في جنوب فرنسا حتى استولى على معظم ولاية بروفانس وهاجم مدناً عديدة ثم هاجموا ولايات شارل مارتل الذي بادر بالعمل فوراً لمقاومة المسلمين وتمكن بمساعدة اخيه من استعادة الكثير من الاماكن الحصينة ثم تقدم بعد ذلك الى اربونة التي انقطعت عنها الاتصالات بالاندلس بسبب المقاومة المسيحية في جبال البرت وقد ارسل عقبة حملة لنجدة اربونة الا انها لم تستطع انقاذهالان شارل مارتل تمكن من دحرها . على الرغم من ذلك فأن المسلمين عادوا واستولوا على المدينةالتي ظلت قاعدة اسلامية الى عهد عبد الرحمن الاول مؤسس الامارة الاموية .

ثانياً: الفتن والاضطرابات الداخلية

شهدت هذه الفترة فتن واضطرابات بين ابناء المجتمع الاندلسي سواءاً اكان بين العرب انفسهم او بين العرب انفسهم اوبين العرب والبربر . اثر تمرد البربر في بلاد المغرب على سلطان المغرب اضطر والي الاندلس عبد الملك بن قطن ، ان يستعين بقوة الفرسان الشاميين المحاصرين في مدينة سبته ، فعرض عليهم المرور الى الاندلس بشرط ان يشتركوا معه في اخماد ثورات البربر ثم ، يعودوا ثانية الى المغرب بمجرد انتهائهم من هذه المهمة التي حددت بمدة سنة .واضطر بلج بن بشر واصحابه الى قبول هذا الشرط لسوء حالتهم . وكان ثوار البربر في ذلك الوقت وقد وحدوا صفوفهم وقسموا انفسهم الى ثلاثة جيوش :

١- جيش يهاجم طليطلة ٢- جيش يهاجم قرطبة ٣- والجيش الثالث يتجه جنوباً للقضاء على قوة الشاميين في سبته والاتصال بأخوانهم بربر المغرب .

في ذلك الوقتكان بلج بن بشر قدعبر الى الاندلس ، وعلم بخطة البربر فراى ان يبدأ بمقاتلة الجيش الثالث القادم نحوه كي يحول دون اتصاله ببربر المغرب .

وعند بلدة شذونة انتصر على الجيش الثاني ، ثم بعد ذلك اتحد جيشه مع الجيوش العربية الاخرى وساروا جميعاً نحو طليطلة حيث اصطدموا على نهر التاجو بتجمعات البربر الرئسية وانتصروا عليها فقضوا بذلك على ثورة البربر .

اخذ بلج واصحابه بعد ذلك ينعمون بحلاوة النصر ، ويتمتعون بالطعام والشراب والنساء بعـــد الحرمان الذي عانوه في سبته . ومن العجيب ان والي الاندلس عبد الملك بن قطن طلب منهم بعد ذلك ان يعودوا الى المغرب حسب الاتفاق المبرم بينهم . فما كان منهم الا ان ثاروا عليه وقتـــلوه واقاموا مكانه قائدهم بلج بن بشر . وقد اثار هذا العمل غضب الحجازيين ، فقتلوا بدورهم بلج بن بشر ، وقامت بين الطائفتين حروب عنيفة استمرت اكثر من عام . وفي سنة ١٢٣هـ (٧٤٣م) ولي على الاندلس والٍ ارتضاه الفريقان الا انه كان يمني الاصل وفي نفس الوقت من اعيان الشام وهو الشاعر ابو الخطار بن ضرار الكلبي ، واستطاع هذا الوالي الجديد ان يعالج الامور بسياسة مـــن الحزم والاعتدال فسوى بين جميع القبائل ، ووزع جنود الشام على مختلف الكور او الولايـــــات الاندلسية ليحد من شوكتهم .

وقد حرص ابو الخطار في هذا التوزيع على ان تكون الامكنة التي ينزلون فيها مشابهة الى حـد كبير بالاماكن التي جاءوا منها في المشرق . فأهل حمص مثلاً انزلهم مدينة اشبيلية وسماهـــا حمص ، واهل دمشق انزلهم غرناطة وسماها دمشق ، واهل الاردن انزلهم مالقة وسماها الاردن ، واهل مصر انزلهم تدمير (مرسية) وسماها مصر وهكذا قسمت الاراضي على هيأة اقطاعـــات عسكرية ، كل قبيلة تجبي غلة تلك الناحية التي نزلت فيها وتأخذ عطائها منها والزيادة لبيت المال ومن الطريف ان تلك التسميات المشرقية ظلت مرادفة لأسماء هذه المدن الاندلسية ولاسيمـــا في الشعر الاندلسي الذي كثيراً ماتخللته كلمات مثل حمص ودمشق للدلالة على اشبيلية وغرناطة .

بهذا التقسيم هدأت الفتن واستقرت الامور في الاندلس ولكن لفترة قصيرة فقط اذ سرعان ماقامت في الاندلس وفي غيرها من بلاد العالم الاسلامي ، حروب داخلية اخرى في اواخر ايام الدولـــة الاموية ، وهي حروب العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية . ففي الاندلس نجد ان استقرار العرب واستيطانهم في بلاد الاندلس نجد القبائل الشامية والحجازية تنقسم على نفسها الى هاتين العصبيتين وكان زعيم اليمنية هو الوالي نفسه ابو الخطار الكلبي ، وكان الصميل بن حاتم حفيد شمر بن ذي الجوشن قاتل الامام الحسين (ع) في كربلاء ، وكان الصميل دخل الاندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري السالف الذكر . وكان السبب المباشر لقيام حرب العصبيات في الاندلس بسيطاًفي حد ذاته ، اذ وقع خلاف بين شخصيتين احدهما مضري والاخر يمني ، فلجأ الاثنان الى الوالي ابي الخطار فقضي الامر لليمني ، فظن المضري ان هذا الحكم تعصب من الوالي لكونه يمنياً ، ولجأ الى زعيم المضرية الصميل بن حاتم وشكى له تصرف الوالي ، فذهب الصميل الى الوالي ابي الخطار وكلمه في الامر ، فوقع جدال بينهما لم يلبث ان تطور الى نقاش حاد ، واهين الصميل في المجلس فخرج منه غاضباً على اسوأ حال وقد حُلت عمامته ، ويقال ان احد الحراس قال له اثناء خروجه :(اصلح عمامتك ابا جوشن) ، فرد عليه بقوله (ان كان لي قوم فسيقومونها) . وقامت الحرب بين الجانبين على ضفاف نهر الوادي الكبير ، واستمرت سجالاً بينهما الى ان تمكنت المضرية من هزيمة اليمنية في موقعة كبيرة عند بلدة (شقندة) في جنوب قرطبة . واستطاع الصميل بهذا النصر ان يعزل ابا الخطار من ولاية الاندلس . وان يقيم مكانه رجلاً محايداً بين عرب الشمال والجنوب اسمه يوسف الفهري . ولاشك ان هذا الاختيار دل على ذكاء الصميل ومهارته السياسية ، اذانه ارضى الفريقين المتنازعين بينما ظل هو الحاكم الحقيقي في الواقع